

دلالة أبنية الجموع في السياقات التركيبية

The significance of plural forms in syntactic contexts

الصديق قوري

جامعة يحي فارس . المدينة

sedikgouri@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025-02-21

تاريخ القبول: 2025-12-21

ملخص:

نسعى في هذا البحث لبيان أنّ الفيصل في كشف دلالات الصيغ الصرفية هو القرائن التركيبية من سباق وسباق ولحاق يغيّر دلالتها عند الإطلاق (أي عند تجريدها من القيود اللفظية) فما إن تقع في موقع أو موضع ليس بأصل لها تحمل على ما يقع أصلاً في ذلك الموضع K فتأخذ حكمه K فتدلّ على ما يدلّ عليه (كوقوع المصدر وأبنية مفردة أخرى في موضع الأصل فيه أن يكون للجمع فتدلّ حينها على الجمع) .

وسنأتي فيما يلي إلى البحث في هذه المفاهيم النحوية وأثرها على دلالة المفرد والجمع ، وأثرها في خروج الجمع من دلالة القلة إلى الكثرة ومن دلالة الكثرة إلى القلة .
الكلمات المفتاحية: دلالة ؛ أبنية ؛ جموع ؛ سياقات ؛ تركيبية .

Abstract:

In this research, we seek to show that the decisive factor in revealing the meanings of morphological forms is the syntactic evidence of precedence, context and continuation, which changes their meaning when they are released (i.e. when they are stripped of verbal restrictions). As soon as they occur in a location or position that is not their origin, they are carried on what originally occurs in that location, so they take its rule and indicate what it indicates (such as the occurrence of the source and other singular structures in a location where the origin is for the plural, so they indicate the plural at that time .

In what follows, we will come to research these grammatical concepts and their effect on the meaning of the singular and the plural, and their effect on the plural moving from the meaning of fewness to many and from the meaning of many to fewness .

Keywords: significance ; plural ; forms ; syntactic ; contexts .

لا يخفى أنّ أبنية القلّة - عند الإطلاق - تنحصر دلالتها من الثلاثة إلى العشرة بشهادة سيبويه ومن جاء بعده ، وكذلك الأفصح فيها أن تكون تبياناً للأعداد من الثلاثة إلى العشرة أمّا أبنية الكثرة فعند الإطلاق يراد بها من الثلاثة إلى مايجاوز العشرة ، لكن الملابس السياقية قد يكون لها الأثر في دلالة هذه الأبنية لأنّ القيد كما هو معروف يغيّر ما هو معهود عند الإطلاق ، فقد تأتي الأبنية (أفعال وأفعل وأفعله وفعله) والجمع السالم نكرة مجردة من لام الجنس أو من الإضافة ، فعلى هذا الاعتبار ذهب عامة الأصوليين إلى أنّ دلالتها لا تخرج إلى العموم لكونها ظاهرة في العشرة فما دونها، وهم قصدوا بالعموم الخروج إلى الدلالة على مطلق الجمع أي الخروج على العشرة إلى أن يشمل الكلّ ولكن عمومها وهي نكرة على موضوعه وهو من الثلاثة إلى العشرة.¹

ذكر الأمدي صيغ العموم عند القائلين بها فقال: "...وأسماء الجموع المعروفة إذ لم يكن عهد ، سواء كان جمع سلامة أو جمع تكسير: (كالمسلمين والرجال) والمنكرة (كرجال ومسلمين)..."²

أمّا النظرة السياقية النحوية لأبنية الجمع المنكرة فهي ليست ببعيدة عن دلالة العموم والخصوص لأنّ الكثرة إذا بلغت حدّ الاستغراق والشمول فهي داخله في مفهوم العموم ، لكن الفرق الجليّ هو أنّ الأصوليين جعلوا عموم أبنية القلّة في مجالها عند الإطلاق أي لا يخرجها عن العشرة ، أمّا الحقيقة المستقرة من تتبع دلالة هذه الأبنية هي أنّها تخرج إلى الكثرة أي ما يزيد عن العشرة كما سيأتي في بحثنا بيان ذلك في وزن (أفعل) في كلمات أيد وأعين وأنفس التي جاءت نكرات في قول العرب وفي القرآن، ولكنها دلّت على الكثرة المفهومة من السياق؛ إمّا لأنّها جاءت خبراً عن كثير قبلها أو صفة ، أو لأنّه عاد عليها ضمير وضّح دلالتها على ما يزيد عن العشرة ، وكذا الأمر في وزن أفعال كما سيأتي في سورة محمد وكذا

¹ - البخاري علاء الدين عبد العزيز بن أحمد (1418 هـ - 1997 م) ، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، وضّح حواشيه : عبد الله محمود محمد عمار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ص 3/2 .

² . الأمدي سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد (دت) ، الإحكام في أصول الأحكام . ضبط الشيخ إبراهيم

العجوز، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 415/1.

أفعلة وفِعلة بوجود القرائن نفسها تخرج للدلالة على الكثرة ، هذا إن كان لهذه الأبنية أبنية في الكثرة، أما إن لم يكن لمفردها أبنية في الجمع سواها فأن تدلّ على الكثرة إن أريد بها الكثرة فمن باب أولى.

كلّ هذه الإشارات لما نسعى لبيانها هو محاولة للإجابة عن إشكالية مضمونها: هل للقرائن التركيبية من سباق وسباق ولحاق أثر على دلالة المفرد والجمع ، وأثر في خروج الجمع من دلالة القلّة إلى الكثرة ومن دلالة الكثرة إلى القلّة ؟

ولا شك أنّ المنهج الملائم لهذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي القرائني الذي يصف الظواهر اللغوية ويحلّلها وفق ما يلابسها من قرائن لاستنتاج أحكامها .

1- إذا ما اقترنت بالألف واللام أو أضيفت:

إنّ الناظر في القرآن يجد فيه ألفاظا بزنة (فَعْل) المفرد، ولها أبنية قلّة وكثرة على القياس وفي موضع الكثرة استغني بأبنية القلّة عن أبنية الكثرة في الدلالة على الكثرة حقيقية عند القائلين بأن لا مجاز في القرآن ، ولك أن تتصفح الذكر الحكيم متبعا لفظة "نفس" بزنة (فَعْل) التي جمعتها في الكثرة "نفوس" وفي القلّة "أنفس" فحيثما وردت في موضع كثرة وردت ببناء القلّة "أفعل" ولكنها جاءت مقرونة بالقرائن التي جعلتها تدلّ على الكثرة كاقترانها بالألف واللام اللذين يجعلانها لمطلق الجمع أو بإضافتها إلى ما يدل على الكثرة أو ورودها في سياق يفهم منه دلالتها على الكثرة وهذا ما سنبحث فيه إن شاء الله.

وكذلك لفظة "أنعم" على الرغم من وجود بناء الكثرة (نعم) فقد وردت في محل تكثير واستغني بها عن (نعم) قال تعالى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121)" [سورة النحل ، الآية: 120 / 121] .

قال ابن الأثير وهو من أرباب اللّغة والأدب والبلاغة: " أفترى نعم الله أكانت قليلة على إبراهيم صلوات الله عليه ؟ " وعن الأنفس قال في قوله تعالى: "وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)" [سورة النمل الآية (12-14)] ،

فقال : "واستيقنتها أنفسهم" فجمع النفس جمع قلة وما كان قوم فرعون بالقليل حتى تجمع نفوسهم جمع قلة بل كانوا مِئِينَ أَلُوفًا وعن قوله عَزَّ وَجَلَّ : "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَمِرُونَ (42)" [سورة الزمر الآية (42)] ، قال : "والنفوس المتوفاة والنائمة لا ينتهي إلى كثرتها كثرة لأنها نفوس كل من في هذا العالم".¹ وجاء أيضا في القرآن الكريم قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أُمَثَلُكُمْ فَاذْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِبْوا لَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (194) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ هُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ هُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ هُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ (195) " . [سورة الأعراف الآية (194 - 195)] .

فلا شك أن الأصنام التي كانوا يدعونها كثيرة وهي عباد ككل مخلوق فهو عبد لله غير أن العباد المكلفين يختلفون عن غير المكلفين ، لكن كلا منهما ليس بإله ولا يجوز أن يتخذ كإله ثم إنَّ الله أنكر عليهم عبادتهم لهم فقال: " أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ ...". الآية.

فجعل (أرجل) جمع قلة وأراد به الكثرة لأن هؤلاء المعبودات لو كانت لها أرجل لكانت كثيرة تبعًا لكثرتها ولكن لفظ "رجل" ليس له جمع في الكثرة فيستعاض عنه بهذا البناء "أفعل" للدلالة على الكثرة حقيقة والأمر نفسه بالنسبة (الآذان) لأنها أفعال وهي من أبنية القلة ودلت على الكثرة للسبب ذاته ، أما العين واليد فلهما وزن في الكثرة وهما عيون وأيادي ولكلتهما وردتا بصيغة "أفعل" لتوافقا الصيغتين الْأَوَّلِيَيْنِ محافظة على انسجام فواصل الكلام فتصبح الأربعة مبدوءة بهمزة والثلاثة الأولى "أفعل" والرابعة "أفعال" والله أعلم بمراده من كلامه. فلعله لهذه الحكمة آخر الآذان على الأعين من بين حكم أخرى لا يعلمها إلا هو ، ولما كان الموضوع موضع كثرة دلت أعين وأيد على الكثرة حقيقة لا مجازا تبعا للأوليين (الأرجل و الآذان) ولسبب آخر أن لا مجاز في القرآن تماشيا مع من نفوه.²

¹ . ينظر ابن الأثير (1411هـ - 1999)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تج : عبد الحميد محي الدين ،

المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، لبنان ، ص 309/308/2 .

² . كما هو مذهب أبي سعيد البلوطي و الاسفراييني وابن تيمية وابن القيم والشنقيطي محمد الأمين.

معلوم أنّ الألف واللامّ منها ما هو للجنس ومنها ما هو للعدد، ومعلوم أنّه لا عهد في أفراد الجموع، فالجموع بكلّ أبنيتها إن كانت معرفة بلام الجنس وكذلك الجمع السالم فلا مجال لتحديد دلالتها بالقلّة أو الكثرة، وهذه حالها في كلام العرب والقرآن؛ (فالمسلمون والمسلمات والمؤمنون والمؤمنات) وقس عليها كل جمع سالم معرف إن لم تكن هناك قرينة تصرفه إلى عدد قليل ما دون العشرة فهو للدلالة على أفرادها أيّا ما بلغت عدتهم وكذا "الأفعل" و"الأفعال" و"الأفعلة" و"الفِعلَة".

ومعلوم أنّ صيغ الجموع عامّة وشاملة لكل قسم أو فرد من أفرادها؛ فصيغة الجمع أيّا كانت للقلّة أو الكثرة كما تتناول الكلّ والثلاثة باعتبارها أقلّ الجمع تتناول ما بينها أيضا، فرجال مثلا تتناول الأربعة وكل الرجال الذين أردت عدتهم وتتناول الثلاثة وتتناول الأربعة والخمسة وغيرها حتى تتناول آخر عدد، بخلاف اسم الجنس فإنّه يتناول الأعلى والأدنى ولا يتناول ما بينها، والفرق أنّ اسم الجنس إنّما يتناول باعتبار معنى الفردية لأنّه اسم فرد وهو موجود في الأدنى والأعلى تحقيقا وتقديرا دون ما بينهما، أمّا لفظ الجمع فإنّه يتناول باعتبار معنى الجمعية وهو موجود في الأعلى والأدنى وفيما بينهما من أقسامه.

وهذه الألف واللامّ إذا أدخلت على اسم التفضيل الذي كان قبل دخولها فيه شبه للفعل والمصدر ولذلك ما أمكن جمعه مثلهما إن كان مقرونا (بمن) غير مضاف مثل: "هند أفضل منك" فهي في معنى هند يزيد فضلها على فضلك. أخرجته عن أن يكون بمعنى الفعل "وصار بمعنى الفاعل واستغنى عن (من) و(الإضافة) فحينئذ يؤنث إذا أريد المؤنث ويثنى ويجمع فتقول: زيد الأفضل والزيدان الأفضلان والزيدون الأفضلون والأفاضل وهند الفضلى والهندان الفضليان والهندات الفضليات والفضّل، فلك أن تثني وتجمع كما تفعل بالفاعل لأنّه في معناه¹.

فانظر إلى الألف واللامّ كيف كانت قرينة سياقية جعلت ما دلّ على الجمع مفردا قابلا للتصرف في أبنية الجمع سالمة كانت أو مكسرة مثل: الأفضلون والأفاضل والفضّل.

¹. ينظر: ابن عيش موفق الدين بن علي النحوي، شرح المفصل، مكتبة المتنبّي، القاهرة، مصر، و عالم

2- عود الضمير وأثره في الدلالة كعنصر من عناصر السياق اللغوي.

لا شك أنّ عود الضمير هو عنصر نحوي تركيبى، وإفراده وتثنيته وجمعه وتذكيره وتأنيثه تبع لما عاد عليه، ولما كانت دلالة الجموع بين القلّة والكثرة تبعاً للأبنية التي ذكرنا في المباحث السابقة كان الضمير العائد عليها وسيلة سياقية معينة على تحديد دلالتها ألقلة هي أم للكثرة، أم للعموم، أم للمفرد؟ وبنظرة معاكسة نجد أنّه من الخطأ أن نخلص إلى دلالة الألفاظ العرفية أو دلالة المباني الصرفية بمعزل عن سياقها الخاص أو العام، ففي سياقها الخاص لا بدّ من النظر في علاقتها التبادلية مع ما يسبقها وما يعود عليها مكوّناً معها الجملة، وفي السياق العام ننظر إلى النص كلّ الذي جاءت فيه هذه الكلمة مع ما تعلق بها إن وجد هذا النص الكلي؛ لأنّ الكلمة أو البناء في نص ما يكون له دلالة تختلف عن دلالاته في نص آخر، وفي هذا المعنى يقول بنفينايسست مجيباً على سؤاله الذي طرحه ما المعنى؟ "بأنّه قدرة الوحدة اللغوية على التكامل مع وحدة من مستوى أعلى ومعنى الكلمة يتحدد بالتأليفات التي تتحقق بها وظيفتها اللغوية، أي أنّه مجموع علاقتها الممكنة بكلمات أخرى".¹

فانظر مثلاً إلى قولك: "الهندات ذهبن" ولم تقل "الهندات ذهب" حملاً على قوله تعالى: "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ..." [سورة البقرة - الآية 233]. وقلّ أن يقال الهندات ذهب ولكنك تقول: الأشجار سقطت وتقول أيضاً الجدوع كسرتها وانكسرت، وليس لك أن تقول انكسرن وكسرتن، أمّا الأجداع فلك أن تقول ذلك. فانظر كيف اختلف الضمير واختلفت من ورائه الدلالة على العاقل وغيره جنساً وعلى القلّة والكثرة عدداً، فعاد في جمع كلمتي الوالدات والهندات بصيغة الجمع تبعاً للأصل الذي أصلوه وهو أنّ جمع العاقلات يعود الضمير عليه بصيغة الجمع، ولكن في جمع غير العاقل كالأحجار والأشجار والثياب فالفيصل في فهم دلالتها العددية- لأنّ عدم العقل فيها معلوم من لفظها إلاّ أن تسميها عقلاء- هو هذه الوسيلة السياقية ألا وهي الضمير العائد عليها، فإن أفردته أعطاه دلالة القلة، وإن جمعته أفادها دلالة الكثرة، وهذا ما نطق به القرآن الكريم واستعملته العرب في كثير من كلامها؛ قال تعالى: "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ

¹. ينظر عبد اللطيف محمد حماسة (2000 م)، النحو والدلالة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1،

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)" [سورة التوبة: الآية 36] ، فجعل ضمير الأشهر بالإفراد وهو الهاء، وذلك لأنها أكثر من عشرة فقال: "منها" وجعل ضمير الأشهر الحُرْم بالجمع لأنها أربعة فقال: "فلا تظلموا فيهن أنفسكم" وقال: "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ (197)" [سورة البقرة الآية: 197]. فأعاد الضمير علمين بالجمع لأنهن ثلاثة أشهر وقال تعالى: "ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا" فأعاد الضمير على السموات بصيغة الجمع لأنهن سبع.

ويدلّك على ذلك أيضا استعمال العرب للضمير فيما يؤرخون؛ فإنّ "كلام العرب لما بين الثلاثة إلى العشرة تقول: لثلاث ليال خلون وثلاثة أيام خلون إلى العشرة فإذا جزت العشرة قالوا: خلت ومضت ، ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة (هن وهؤلاء) فإذا جزت العشرة قالوا: (هي وهذه) إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير، وقال الكسائي: كنت أعجب من العرب تقول (لعشر مضين وإحدى عشرة مضت)¹ وذكر الفراء تفسيراً لهذه الظاهرة قال: إنّ المميز مع جمع الكثرة وهو ما زاد على العشرة لما كان واحداً وحّد الضمير ومع القلة وهو العشرة وما دونها لما كان جمعا جمع الضمير"²

وقد يتجاوز عن هذا الأصل إلى غير هذا الضرب من البلاغة كتنازل القلة منزلة الكثرة وبالعكس ممّا يليق به المقام وذلك نحو قوله تعالى: " أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ

¹ .فاضل صالح السامرائي معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، ط 1، ص65/1. وينظر الحريري القاسم بن علي (1998 م)، درة الغواص في أوهام الخواص، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ، ص75-76.

² .السيوطي جلال الدين (1988)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص581/3 وينظر: كذلك الزركشي بدر الدين محمد بن علي (1988)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 23/4.

تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)" [سورة البقرة الآية: 184] ، فقال: "أياما معدودات" لتقليلها مع أنها أكثر من عشرة ، أي هي قليلة يسيرة بالنسبة إلى قدرتكم واستطاعتكم، ولذلك قال بعدها: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185) وهو من باب التلطّف بعباده المؤمنين، وهذا نظير ما نستعمله في كلامنا فنقول لواحد منا وقد أعدنا له أمرا فيه شيء من الكلفة نريد أن نهونه فنقول له: هذا بالنسبة إليك سهل ميسور ولا يمرّ وقت قليل إلّا وأنت منجزه،

وبالعكس في مقام التقليل من شأن المخاطب فنقول له هذا فوق طاقتك و أنت لا تستطيع مثل هذا و لكلّ مقام مقال.

و في هذا الموضع بالذات ارتأينا أن نبحت في دلالة صيغة "أفعال" التركيبية في سورة محمد لأنّها وردت فيها بكثرة، ثم من بعدها نبحت في دلالة "فِعْلَةٌ" ولنا في هذه السورة خير شاهد على دلالة صيغة "أفعال" على الكثرة .

لفظة " أعمالهم" في الآية الأولى هي جمع لعمل بزنة "فَعَلَ" لم يرد له بناء في الكثرة، فدلت أعمال على الكثرة بإضافتها إلى ضمير "هم" الذي يعود على الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله، فهم كثير يزيدون عن العشرة لا محالة، ثم لفظة "أمثالهم" جمع "مثل" بزنة "فَعَلَ" أو "مثل" بزنة "فَعَلَ" (أمّا مثال فلها وزن كثرة فقط وهو مُثْلٌ بوزن فُعْلٌ)¹ فدلت "أمثال" بزنة "أفعال" على الكثرة الواضحة الجليّة في قوله تعالى في الآية الثالثة: "كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ" فأضيفت إلى ضمير يعود على كُفْرٍ، ثم لفظة أوزار جمع وزر وهو الجمل والثقل لم يرد له وزن في الكثرة ،قال تعالى في الآية الرابعة: "حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا" فاقرنت بالهاء العائدة على الحرب فهل أوزار الحرب قليلة؟ ثم دلت أعمال مجدداً في الآية نفسها على الكثرة؛ لأنّها اقترنت بضمير يعود على الذين قاتلوا في سبيل الله الآية: "وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَاهُمْ" ثم لفظة أقدام في الآية الخامسة وهي باب في جمع "قَدَم" بزنة "فَعَلَ" الذي لا بناء له في الجمع غيرها، فدلت على الكثرة لاقرانها بضمير

1. المِثْل والمِثْل لغة فيه هو الشبيه والنظير ويجمع على أمثال فقط، أما مُثْل فهي جمع مثال مثل كتاب وكتب وبأبها، انظر القاموس المحيط مادة (مثل) .

الخطاب "كم" العائد على الذين آمنوا الآية : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُخْلِصْ أَقْدَامَكُمْ (7) ثم لفظنا الأنهار والأنعام بزنة الأفعال جمعا نَهْرٌ وَنَعَمٌ¹ في قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (12)" الآية الثانية عشر؛ فالأنهار تدلّ على ما فوق الثلاثة إلى العشرة كما هو الباب فيها إن كانت عدّة أنهار الجنان بين ذلك، وإن كانت أنهار الجنّات تزيد على العشرة وبلغت ما بلغت، فلا جرم لأنّها مقرونة بلام الجنس التي تستغرق عدّة الجمع مهما كانت كثيرة وكذا الأنعام. فدلالتهما على الكثرة واضحة لأنّه أريد بها جنس الأنعام، ثم لفظة أهواء جمع هوى بزنة "فَعَلَ" الذي لا جمع له سواها دلّت على الكثرة لاقترانها بضمير هم العائد على "من" التي هي من ألفاظ العموم والشمول الذي يتضمن الكثرة تضمّن الأصل للفرع كما قدمنا من قبل، ثم جاءت الآية الخامسة عشر وفيها لفظه أمعاء وهي جمع قلّة لمعي أو معي بزنتي "فَعَلَ وَفَعِلَ" بمعنى واحد وهو مصران البطن يذكَر ويؤنث²، فدلت على الكثرة أيضا؛ لاقترانها بضمير يعود على كُثْرٍ، ثم لفظه أهواء مجددا دلّت على الكثرة أيضا. لعدم ورود جمع غيرها وعلمت دلالتها على ذلك لاقترانها بضمير يعود على "من" المستغرقة للجنس لعود ضمير الجماعة عليها في قوله: (خرجوا) والآية: "وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَآذَا قَالَ أَنْفَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (16)" ودلالتهما على القلّة أو الكثرة هنا تبع لعدّة الذين خرجوا من عند الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكذا لفظه "أشراط" جمع شَرَطَ بمعنى العلامة أو أوّل الشيء³ ليس لها جمع كثرة وأفادات الكثرة؛ لأنّها دلّت على علامات الساعة وهي كثيرة ففهمت الكثرة هنا من قرينة

1. ابن السكّيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (1375 هـ)، إصلاح المنطق، شرح و تحقيق أحمد محمد

شاكر و عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط 2. يقال نَهْرٌ وَنَعَمٌ لغة فيه، والباب في النَّهْرِ أَنْهَرُ وَفِي نَهْرٍ أَنْهَارٌ فجاءت بلغة من قال نَهْرٌ، ص 97.

2. القاموس المحيط، مادة (مَعَوَ).

3. السابق مادة (شرط) أمّا الشَّرَطُ مصدر شرط بمعنى ألزم الشيء والتزم به، فجمع على شروط بزنة "فَعُول" فتخالفا في الوزنين تفاديا للبس في المعنى ما جمع في رجل ورجل.

معنوية، والآية هي قوله تعالى: "فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ دِكْرَاهُمْ (18) وأراد بها هنا أوائلها، ولذلك قال جاء ولم يقل جاءت، والله أعلم بمراد كلامه. ثم جاءت لفظة أرحامكم في الآية الثانية والعشرين في قوله تعالى: "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22)" وهي الصيغة الوحيدة فيما نعلم لجمع رحم فهي ولفظة أبصارهم ولفظة أقفالها ولفظة أدبارهم التي هي جموع قلّة (البصر و قفل ودبر بزنة فَعَلَ وفُعِلَ وفُعِلَ كلها دلّت على الكثرة لاقتراها بضمير "هم" أو "ها" الدالة على الجماعة (أي جماعة القلوب) وضمير "هم" الذي يعود على المنافقين الذين في قلوبهم مرض وكانوا كثير كما هو معلوم، أضف إليها لفظة أضغاثهم التي تعود إليهم وتعنيمهم كذلك، وهي جمع للضغن بكسر أوله و إسكان عينه أو بفتح أوله وثانيه لغتان فيهما مصدرا ضَغْنٍ بمعنى الغلّ والحقْد¹ ثم لفظة أخباركم جمعاً- ولا جمع سواها- لخبر بزنة فَعَلَ، خوطب بها المؤمنون فدلّت على الكثرة لهذه القرينة قال تعالى:

"وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (31)"، ثم لفظة أموالكم جمع مال معتل العين بزنة "فَعَلَ" ولا جمع له سواها دلّت على الكثرة كسابقها

ودلالاتها على الكثرة واضحة جليّة في قوله تعالى: "إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَهُمْ وَإِنْ تَوَلَّوْا وَتَتَّبِعُوا يُؤْزِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ (36)". فهذه سورة واحدة من كلام المولى جلّ في علاه - الذي نزل بلسان عربي مبين الذي لا يوصف بالفصاحة والبلاغة فحسب، بل يوصف بالإعجاز- ضمّت كلّ هذه الكلم بزنة ""أفعال دالة على الكثرة من دون أدنى حرج أو لبس بفضل القرائن التركيبية التي رأيناها.

وسنبعث الآن في دلالة "فِعْلَة" ومدى تدخل القرائن في إخراجها من دلالتها الأصل (أي دلالة القلة).

قال تعالى في سورة الحجر: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (45) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ (46) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (47)" لما كان الموضوع موضع جزاء وافر وعظيم وهي الجنّات والعيون التي أعدّت للمتّقين، ولما كانت الآيات

¹. ينظر: ابن السكّيت إصلاح المنطق، مصدر سابق، ص 97. والقاموس المحيط مادة (ضغن).

التي قبل هذه الآيات فيها وعد من الشيطان بعد أن أنظره الله ليغوينّ عباده أجمعين إلا قلة قليلة من عباده المخلصين، وبعد أن أدحض الله وعده ونفى عنه السلطان على عباده إلا قلة تتبعه من الغاوين، وبعد أن جاء نذيره ووعيده جلّ في علاه لهؤلاء الغاوين جاء التبشير والتحيب في الجنّات والعيون ، فالمقام مقام تكثير فناسبه أن يأتي جمع الكثيرة فقال تعالى: " إخوانا على سرر متقابلين" ولم يقل إخوة لأنّه قال قبلها : " ونزعنا ما في صدورهم من غلّ" فما إن يزول الغلّ تكثر الأخوة ، والمؤمنون في الدنيا قد لا يخلون كلهم من الغلّ فلما أنقص الغلّ من تأخيمهم في الدنيا بشرهم الله بأنّه ينزعه في الآخرة من صدورهم.

ولا يردّ هذا بقوله تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10) " [سورة الحجرات: الآية 10] لأنّه - والله أعلم - لم يصفهم بالقلة حين قال إخوة بوزن "فعلة" للذّم وإنّما ليشمّهم بإخوة الرحم التي في أغلب أحيائها لا تفوق العشرة وليبين لهم أنّ المؤمنين وإن كثروا فلا بدّ أن تجعلهم الأخوة كالعشرة فما دونها حتّى لهم على التواصل والتضامّ والتفاهم والتآزر، ولذلك قال: فأصلحوا بين أخويكم ولم يقل إخوانكم فكلّما قلّت أطراف الخصام سهل وأمكن الصلح وتعدّر كلّما كثرت أطرافه وتعددت ، وبما أنّ الطائفتين المتخاصمتين اثنتان، والطائفة التي أمرت بالإصلاح وهي أخت لكلّهما فصاروا كالإخوة الثلاثة فعدهم هم واحدا والطائفتين أخويهم ولو كانت الطوائف المتخاصمة عشرة لصارت العدة بهم أحد عشر؛ فتقول حينها إخوانكم.

وانظر إلى قوله في سورة آل عمران: " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103)" [سورة آل عمران الآية 103] ، فلا يقال لماذا لم يأت بإخوة مكان إخوان كما أشرت أنّ في القلة دلالة على اجتماع وسهولة الوحدة والانضمام، لأنّه قد تفوت حينها الدلالة على كثرتهم وشوكتهم التي من الله وتفضّل بها عليهم والذي أحلّها محلّ كثرة تعادهم وتفرقهم ، فكما كانت كثرة مذمومة للتفرق وعدم الألفة، تبقى كثرة بعد الاعتصام لكن متألّفة تجمعها الأخوة ويجمعها الاعتصام بحبل الله، ففي جمع الكثرة "إخوان" زيادة على ما في جمع القلة "إخوة" من الوحدة والتآلف، وهي كثرة السواد والقوّة، وفي الآيات بعدها زيادة تأكيد وتأييد لما أشرنا إليه والله أعلم بمراد كلامه.

أما في سورة يوسف فقد ورد جمع أخ بصيغة إخوة على وزن القلة "فَعْلَة" فقط دون إخوان .

جاء بنص القرآن أنّ ليوسف أحد عشر أخا؛ قال تعالى: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4)" [سورة يوسف الآية 4] ، فكانت رؤياه حقا فسيحان الله كان أخوه لأبيه وأمه "بنيامين" هو الحادي عشر وكانّه ليس من العشرة الذين وصفوا أنفسهم بأنهم عصابة كما سيأتي، وكانت أمّه وأبوه الشمس والقمر، فأوصاه أبوه أن لا يقصّ رؤياه على إخوته العشرة، ولم يقل إخوانك ليستثني أخاه بنيامين فلهذا -والله أعلم- قال تعالى: "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)" ، ثم قال: "لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8)" [سورة يوسف الآية (5-7، 8)] فهذه الآية كشفت على أنّ الإخوة وقعت على عشرتهم لأنهم استثنوا أخاه معه في حبّ أبيهم لهما، فكانوا هم الإخوة أنفسهم الذين حدّره أبوه من كيدهم ، وذلك أنّ أباه أب وني وقد شهد الله له أنّه ذو علم لما علّمه حين قال: "وإنّه لذنو علم لما علمناه" وحال الأبناء يعرفها الآباء فكيف بالآباء الأنبياء.

وفي الآية أيضا جعل هؤلاء الإخوة أنفسهم عصابة دون أخيم، فجعلوه في صفّ يوسف لأنّه محبوب عند أبيه أيضا، والعصابة هي الجماعة المجتمعة من الرجال أو الخيل أو الطير التي تكون على أمر واحد فكذا كانوا هم على أمر واحد في الكيد ليوسف .

واختلف العلماء في العدد الذي تطلق عليه "عصابة"، فالعصابة عند ابن عباس مابين العشرة إلى الأربعين، وعند مجاهد من العشرة إلى خمسة عشر، وعند مقاتل عشرة فقط وعند ابن جبير ستة أو سبعة، وقيل مابين الواحد إلى العشرة، وقيل من الواحد إلى الخمسة عشر وعند الفراء عشرة فما زاد.

وكل الأقوال- ماعدا قول ابن جبير- تشير إلى أنّ العشرة لا محالة تكون عصابة ووردت لفظة عصابة في هذه الآية وفي الآية الرابعة عشر: "قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الدَّبُّبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذَا لَحَاسِرُونَ (14)" "وفي سورة النور: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ... [سورة

النور الآية 11]. وفي سورة القصص: "وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ" [سورة القصص الآية 76] ، وفي كل هذه الآيات دلالتها على الاجتماع والاشتراك في شأن أو أمر أو عمل أو مصير جامع لأفرادها.

ثم قال تعالى: "وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (58)" فدلّت "إخوة" كما دلّت من قبل على عشرتهم فقط دون أخيم {لأنه قال بعدها: "وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59)" فقصّد أخاه من أبيه وأمه، وجاءت في سورة الإسراء الآيتان: "وَأَتَتْ دَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كُفُورًا (27)" [سورة الإسراء الآيتين 26-27] بصفة جمع الكثرة لتكون أبلغ في ذمّ المبذرين، ولأنّ الشياطين جمع كثرة وجاء قبلها بالمبذرين المسبوقين بلام الجنس الدالّ على الاستغراق والكثرة، وأراد الله أن يخبر عن كلّ مبذّر من جنس المبذرين أنّه أخ لكل شيطان من جنس الشياطين، فلو قال إخوة الشياطين لأخلّ بالبلغة لأنّه حينها سيجعل القليل خبرا لكثير مشبّه بكثير والله أعلم ، وقال في سورة المجادلة: "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ (22...)" [سورة المجادلة الآية 22] فجاءت بصيغة التّكثير "إخوان" بزنة "فعالن" لأنّه يتحدث عن قوم ، وكما أنّ القوم كثير فكذلك (آباءهم وأبنائهم وإخوانهم) تدلّ كلّها على الكثرة ولأنّ الله بيّن لنا قوّة إيمان هؤلاء القوم وعدم موادّتهم لمن يحادّد الله ورسوله، فبدأ بأعزّ الأفراد وأوجبهم طاعة ووُدّاً وهم الآباء ثم الأبناء ثم الإخوان ثم العشيرة،

فالوضع موضع تكثير لأنّ الدليل على إيمان حزب الله المفلحين البراءة وعدم موالاة من حادّ الله ورسوله مهما بلغت عدّتهم وكثرتهم ومهما بلغت قرابتهم وهذان الحب والكره في الله. 3- ورودها مضافة أو صفة أو خبرا أو تمييزا.

لاشكّ أنّ المضاف ما تتّضح دلالته إلّا بالمضاف إليه ، ولأجل هذا ففي أبنية الجمع مكسّرة كانت أو سالمة لا يحكم على دلالتها بالقلّة أو الكثرة حكما صرفيا محضا وإنّما لا بدّ من نظرة

تركيبية نحوية يتدخل فيها المضاف إليه الذي أضيفت إليه هذه الأبنية وهذا الذي أشرنا إليه قبل قليل.

وخلاصة القول هنا إنَّك في قولك مثلاً: "نظَّفت أسرج الخيول المعدَّة للسباق"، وقولك: "الله يتوفى أنفس الخلق ويعلم ما في أفئدتهم ولا تخفى عليه أفعال العباد ويسمع أقوالهم"، وكذلك قول الإمام: يا إخوة الإيمان... ففي كل هذه الأمثلة ليس لأحد أن يجزم مباشرة بأنَّ هذه الأبنية دلالتها ما بين الثلاثة إلى العشرة متدرِّجاً بأنَّ أهل العلم قالوا إنَّها من أبنية القلَّة وأولهم سيبويه نقلاً عن شيوخه، ولكن من له الفصل في تحديد معناها هو المضاف إليه، للقلَّة هي أم للكثرة وما قيل على أبنية القلَّة المكسرة يقال على جمعي السَّلامة؛ كقولك: "مسلمو مكَّة ومهاجروها لا قوا من البأساء والضَّراء ما لا يعلمه إلا الله"، والقول ذاته ينطبق على أبنية الكثرة؛ فهي ليست للكثرة أينما حلَّت وإلى أيِّ مضاف أضيفت، وإنَّما قبل الحكم على دلالتها لا مناص من النَّظر إلى ما أضيفت إليه سواء أكان اسماً ظاهراً أم ضميراً عائداً على اسم قد تقدَّم ذكره.

وقد ترد أبنية الجموع وأبنية المفرد كذلك صفة لموصوف، فتتوقف دلالتها على معرفة عدَّة الموصوف؛ فقد يكون موصوفها مفرداً، ومعلوم أنَّ الصِّفة تتبع الموصوف في العدد والنوع والتعريف والتنكير... ومن ثَمَّة فدلتها "أي الصفة" وإن كان لفظها لفظ جمع خالف لفظ موصوفها ومعناها عند الإطلاق الجمع، فسيكون معناها هنا تبعاً لموصوفها فتدلَّ على المفرد.

فهذه "أفعال" لقوَّة شبيهها بالمفرد كثير وصفه بها نحو: برمة أعشار وثوب أسمال ويقال ثوب أخلاق ونطفة أمشاج، واستدل سيبويه على أنَّ لفظها مفرد لأنَّه يجوز أن يعود الضمير بالمفرد عليها قال¹: "وأما أفعال فقد يقع للواحد من العرب من يقول هو الأنعام. وقال الله عزَّ وجلَّ: "وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ..." [سورة النحل الآية: 66].

¹ . سيبويه، (1999)، الكتاب، دار الكتب العلمية، تعليق إميل يعقوب، ط 1، ص 230/3.

وثوب أهدام وحبل أحذاق. وقد يقولون أرض سبابس يسمون كل بقعة منها سبسا لاتساعها، ومن الجمع الذي يراد به الاثنان قولهم: امرأة ذات أوراك ومآكم¹، أو قد تتوقف دلالة الموصوف على معرفة دلالة الصفة، وهذا كثير في كون الموصوف يأتي مفردا وصفته لفظ من ألفاظ الجموع، وهنا في كثير الأحوال يحمل المفرد على دلالة الجمع، وقد تأتي الصفة أو الخبر بلفظ المفرد لا لفظ الجمع، فيُخلص إلى معرفة دلالتها بالنظر فيما وصفته أو أخبرت عنه، وهذا يكثر في المصادر التي يوصف بها الجمع قال زهير بن أبي سلمى:

متى يشتجر قوم تقل سرواتهم هم بيننا رضا وهم عدل.

فكأنه قال: هم مرضيون وهم عدول، وإنما حسن ذلك لأنهما مصدران يقعان بلفظ الواحد لاثنين والجمع والمذكر والمؤنث.

قال صاحب الإيضاح في شواهد الإيضاح بعد أن أورد البيت: "وجعلهم هم العدل وهم الرضا مبالغة في المدح وتعظيما وتشبيها للمعنى بالعين وهو أولى من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، فيكون التقدير فهم ذوو عدل وذوو رضا"² وأيدّه في هذا السهيلي: "أنّه من باب إطلاق المصدر على الفاعل لكونه غالبا عليه مكرراً منه"³ لا على تقدير مضاف مثل ذو أو ذات أو ذوو أو ذوات وغيرها من تصاريّف "ذو" تبعاً للموصوف أو المخبر عنه.

وعليه فقد يوصف الرجل الواحد والمرأة والجماعة بلفظ المصدر ويترك الكلام على بنية واحدة مثل عدل، فطر، رضا، دَنَف، ضيف، خصم، عدو، وقد مضى التمثيل لعدل أما الخصم فقال تعالى: "وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفِ إِذْ تُسَوِّرُوا الْمِحْرَابَ (21)" [سورة ص الآية 21]، فقوله عزّ ذكره "تسوّروا" دالٌّ على أنّ المراد بالخصم الخصوم.

وقال عزّ وجلّ: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24)" [سورة الذاريات

¹. ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا (1997 م)، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، ص162.

². أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي، (1987)، إيضاح شواهد الإيضاح، تحقيق محمد بن محمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط1، ص 755/2.

³. ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، مرجع سابق 311/1.

[الآية 24] وصف الضيف بالمكرمين وهو جمع فجعل الموصوف مفردًا وصفته دلت على إفادته الجمع مثل قول القطامي:

كَأَنَّ نَسُوعَ رَحَلِي حِينَ ضِمَّتْ حَوَالِبُ غَزْرًا وَمَعَى جِيَاءًا

فجعل معى موضع الأمعاء ويدلّك على ذلك وصفه بالجمع فحملة على المعنى لا على اللفظ وهو اسم مقصور لأمه ياء وهو من أعجاف البطن مذكر¹.
وقول ذي الأصبع العدواني:

قَتَلْنَا مِنْهُمْ كُلَّ فَتَى أَبْيَضَ حُسَانًا .

نصب حُسَانًا على الوصف "لكلّ" ولو كان في نثر لجاز (حُسَانِينَ) وصفًا لكلّ على معناها لأنّ لفظها لفظ واحد ومعناها معنى الجمع فلذلك عاد إليها ضمير واحد في قوله تعالى: "كل آمن بالله" وضمير الجمع في قوله تعالى: "وكل أتوه داخرين" وأفرد خبرها في قوله تعالى: "كلهم آتية يوم القيامة فردا" ومثل ذلك في إجراء الوصف على المضاف تارة والمضاف إليه تارة أخرى قولك: أخذت خمسة أثواب طوالا. على النعت للعدد وطوال. على النعت للمعدود، وجاء الوصف للمعدود في قوله جلّ ثناؤه: إِبْرِي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ... [سورة يوسف - الآية 43] ، وفي قوله: "وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ ... [سورة يوسف - الآية 43] ، وجاء وصف العدد في قوله سبحانه: "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ... (3) " الملك : 03 ؛ قيل طباق جمع طبقة كركبة جمع رقاب وقيل جمع طبق كجبل وجبال².

وقد يوصف الجمع بالمفرد المؤنث أيضا مثل قوله تعالى: "تَنْزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (4)" [سورة طه - الآية 04] ، فوصف الجمع بالمفرد، وقوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى" [سورة الأعراف - الآية 180] ، فوصف الأسماء وهي جمع بالحسنى وهي مفرد تأنيث الأحسن ، وكذلك قوله تعالى: "فما بال القرون الأولى" [سورة طه - الآية 51] فَإِنَّ الْأَوَّلَى تَأْنِيثُ الْأَوَّلِ وهي صفة لمفرد. قال صاحب البرهان في علوم القرآن: "وإنما حسن وصف الجمع بالمفرد لأنّ اللفظ المؤنث يجوز إطلاقه على جماعة المؤنث بخلاف لفظ المذكر

¹ - ينظر: أبو علي الحسن بن عبد الله (1987)، إيضاح شواهد الإيضاح ، تحقيق محمد بن حمود

الدعجاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ص469/1 .

² . ابن الشجري هبة الله ضياء الدين أبو السعادات ، أمالي بن الشجري ، تح : محمود محمد الطناحي ،

مكتبة الخانجي، القاهرة، 65/1 .

وأما قوله تعالى: "وكنتم قوما بورا" [سورة الفرقان - الآية 18] والبور الفاسد. فقال الرّماني: "هو بمعنى الجمع إلا أنه ترك جمعه في اللفظ لأنه مصدر وُصِفَ"¹.

ولا يشترط في أن تكون الصفة أو الخبر مصدراً كي تعود على الموصوف أو المخبر عنه بلفظ المفرد، فقد يعبر عن الجميع والاثنين بلفظ الواحد من غير أن يكون مبنياً بالمصدر فيقال: "هؤلاء رسولي وعدوي ومولاي. قال الله عز وجل: "هم العدو فاحذرهم" أي الأعداء، وقال تعالى: "فقلوا إنا رسول رب العالمين". وقال الشاعر:

هم المولى وقد جنفوا علينا وإنّا من لقائهم لزور

وقال عز وجل: "أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء" أي الأطفال ومثل هذا كثير كقوله تعالى أيضاً: "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم". قال السيوطي: "وحكمته كثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق، ونقل توجيه الزمخشري للآية وهو: "ألا ترى أنّ الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل البلدة لشفاعته رحمة له، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة، وأمّا الصديق فإنه أعزّ من بيض الأنوق"².

وفي كل هذا رأينا أنه قد تستخلص دلالة الجمع في الموصوف والمخبر عنه بالنظر في القرائن اللفظية؛ وهي صفته أو خبره ومرة تعرف وتذكر دلالة الصفة وما شاكلها من الوسائل السياقية النحوية بالاعتماد على ما اتصف بها أو أخبرت عنه إن كانت خبراً وهذه سنة من سنن العرب في كلامها لا تكاد تخفى على من تفقه في لسانها.

أما عن التمييز العددي فمعلوم أنه في الأعداد من الثلاثة إلى العشرة يأتي بصيغة الجمع، والأفصح أن يكون من أبنية القلة الأربعة أو جمعي السلامة، ومن الفصح أيضاً أن يأتي بصيغة جمع الكثرة كما مر معنا في المبحث الصرفي. وأنه تضاف إليه هذه الأعداد من الثلاثة إلى العشرة نحو ثلاثة رجال و عشر شموع. أما مع الأعداد فوق العشرة فيأتي التمييز

¹ الزركشي بدر الدين محمد بن علي، (1988 م)... البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 451/2.

² ينظر: السيوطي جلال الدين أبو الفضل (1988)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، ص 482/3.

مفردا كقوله عزّ وجلّ: " رأيت أحد عشر كوكبا " أو مضافا إليه نحو: " قرأت مئة كتاب "، ولكن مع الأعداد ما فوق العشرة قد يأتي المعدود جمعاّ خروجًا عن الأصل فيصحّ: أقبل خمسة عشر راكبًا وأقبل خمسة عشر راكبين، ولكن بإبدال لفظ المفرد بالجمع هنا يتغير الحكم الإعرابي، ففي أفراد المعدود جعلته تمييزا وفي الجمع جعلت المعدود يميز العدد جملة ويبين أفرادها كلا على حدة؛ لأنك قابلت العدد وهو جمع (خمسة عشر) بمعدود جمع وهو (راكبين) وهذا يقتضي انقسام الأحاد على الأحاد ومن ثمة أعرب البصريون¹ راكبين حالا لأنها جمع لراكب وراكب وراكب بعدة خمسة عشر ففيها اختصار لقولنا أقبل فرد واحد راكبا وفرد واحد راكبا وآخر راكبا حتى الخمسة عشر لأنّ الجمع باللفظ أصله الجمع بالعطف حتّى استغراق أفرادها.

قال ابن الشجري مستدلا على أنّ أصل التثنية والجمع بالحرف هو التثنية والجمع بالعطف:

" ويدلّك على صحة ما ذكرته لك أنّهم ربما رجعوا إلى الأصل في تثنية المتفقين وما فُويق ذلك من العدد فاستعملوا التكرير بالعاطف، إمّا للضرورة وإمّا للتفخيم كقول القائل:

كأنّ بين فكّها والفقّ

ضرورة القافية ومثله:

ليث وليث في مكان ضنك.

ومثله فيما جاوز الاثنين قول ابن نّواس:

أقمنا بها يوما ويومًا ثالثا ويومًا له يوم الترحل خامس.

فإن استعملت هذا في السعة، فإنّما تستعمله لتفخيم الشيء الذي تقصد تعظيمه لمن تعنّفه بقبيح تكرّر منه وتنهه على تكرير عفوك عنه، قد صفحت لك عن جرم وجرم وجرم، وكقولك لمن يحقّر أيادي أسديتها إليه أو ينكر ما أنعمت به عليه؛ قد أعطيتك ألفا وألفا وألفا فهذا أفخم في اللفظ وأوقع في النفس من قولك؛ قد صفحت لك عن أربعة أجرام وقد أعطيتك ثلاثة آلاف.²

¹. لأنّ في مذهب سيبويه يجوز مجيء الحال من النكرة بلا مسوغ.

². ابن الشجري، الأمالي الشجرية، 39/1.

وعودًا إلى نحو قولنا : ما أقبل ستة عشر رجلاً وما أقبل ستة عشر رجلاً؛ فالأولى تمييز والثانية تحتل الحال أي يمشون على أرجلهم، وتقول أقبل أربعون فارساً وأربعون فرساناً فالأولى تمييز والثانية حال ورأيت مئة ماش ومئة مشاة فالأولى تمييز مجرور بالإضافة والثانية حال .

ثم إنّ التمييز المفرد قد يختلف عن الجمع من ناحية أخرى؛ وذلك أنّه قد يراد بالجمع أنّ كل واحد من التمييز جمع لا مفرد، تقول : عندي عشرون سمكة وعندي عشرون سمكا فمعنى الأول مفهوم ومعنى الثانية أنّ عنده عشرون من السمك .

و قولك "خمسة عشر صفًا" يختلف عن قولك "خمسة عشر صفوفًا" فإنّ الثانية تفيد أنّ كلا من الخمسة عشر هو مجموعة صفوف لا صفا واحدا¹.

أي أنّهم إذا جعلوا المعدود جمعًا أقل ما يُحتمل أن يقصده هو ضرب العدد في ثلاثة التي هي أدنى عدّة محتملة لهذا الجمع المعدود، ففي هذا المثال "خمسة عشر صفوفًا" أقل ما يمكن أن يقصده هو ضرب خمسة عشر في ثلاثة صفوف، لأنّها أقل الجمع، فيصير لديهم خمسة وأربعون صفا راجحة يقينا وما فوقها محتمل غير متيقن.

أمّا في قوله تعالى : " وقطّعناهم اثنى عشرة أسباطاً أمّماً" [سورة الأعراف - الآية 160] قال بعضهم : إذا كان كل واحد من المعدود جمعًا، جاز جمع التمييز فإن المعدود هنا هو قبائل وكل قبيلة أسباط لا سبط واحد ، فوقع أسباط موقع قبيلة فتدبر . وإن قلت عندي عشرون رجلاً كنت قد أخبرت أن عندك عشرين كل واحدٍ منهم جماعة رجال². فأقلّ ما يحتمل في عدّتهم يقينا ستون رجلاً لأنّ أقلّ عدد ممكن تدلّ عليه لفظة رجال هو ثلاثة فكان كما لو قيل (عشرون ثلاثة باستبدال رجال بثلاثة).

وأمّا عن قوله تعالى: " فلبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين" [سورة الكهف الآية 25] فقالوا إنّ سنين قد نصبت على البدل من ثلاث مئة، وليس بتمييز وكذلك قوله : " اثنى عشرة أسباطاً أمّماً " نصب أسباطاً على البدل، هذا رأي أبي إسحاق الزجاج قال: " ولا يجوز أن يكون تمييزاً لأنّه لو كان كذلك لوجب أن يكون أقلّ ما لبثوا تسع مئة سنة لأنّ المفسّر يكون لكل واحد من العدد وكل واحد من المُفسّر "سنون" وهو جمع والجمع أقلّ ما يكون ثلاثة ،

¹ . السامرائي فاضل صالح (د، ت)، معاني النحو، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ،عمان، الأردن

ط 1 ، 279/3.

² . نفسه : 279/3.

فيكونون قد لبثوا تسع مئة سنة و أجاز الفراء أن يكون سنين تمييزاً¹ وجاء في شرح الرضي على الكافية : "وتقول عشرون ضروباً، بمعنى اختلاف أنواع أحاده، لأن الأعداد لا يثنى تمييزها المنصوب ولا يجمع"². وفصل الخطاب في هذه المسألة أن الذين قالوا بأنّ المعدود في الآيتين لما جاء جمعاً حكمه البدل، ولما كان البدل ينوب عن المبدل منه ويغني عن ذكره إن شاء المتكلم ذلك فهو لا يزيد عنه ولا يخالفه عدداً أو جنساً، فكأنك تضع بين المبدل منه والبدل علامة (=) تساوي. ولما كان التساوي تبديلياً جاز أن تبدل بين المبدل منه والبدل في التركيب ، فحينها جاز أن تقول أسباطاً اثنتي عشر وسنين ثلاثة مئة .

أما العلاقة بين المميّز والتمييز فهي علاقة مضاعفة وضرب (×) ولذلك يجيء التمييز فرداً واحداً حتى إذا ضوعف المميّز مرّة واحدة أي أن يضرب (أي العدد) في التمييز (أي المعدود) وهو واحد، لا يغير من عدته شيء لأنّه حيادي حينها، (فخمسة عشر رجلاً) عند القائلين بأنها بدل مثل (خمسة عشر رجلاً) عند القائلين بأنها تمييز وتمثيلها عدداً : 15= رجلاً ، مثل 15× رجل. فتصبح : رجلاً = 15 مثل 1×15 رجلاً فتصبح 15 مثل 15. ومن ثمة فالقائلون بأنّ رجلاً . وأيّ جمع آخر في مثل قولنا (رأيت خمسة عشر رجلاً) . هي في حكم البدل ، قد تفتنوا للطيفة عظيمة من لطائف العربية ونحوها ألا وهي قاعدة: " مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الأحاد على الأحاد " التي يعدّ ابن جنيّ أبا عُذْرها فكان له فضل السبق، ونقلها عنه الزركشي فكان له فضل النقل قال: "وقوله تعالى: "إنها ترمي بشرراً كالقصر" أي كل واحدة من هذا الشرر كالقصر، والقصر البيت من آدم كان يضرب على الماء إذا نزلوا به، ولا يجوز أن يكون الشرر كله كقصر واحد لأنه مناف للوعيد ، فإنّ المعنى تعظيم الشرر أي كل واحد من هذا الشرر كالقصر ويؤكد قوله بعده " كأنّه جمالات صفر" فشبهه بالجماعة أي فكل واحدة من هذا الشرر كالجمال فجماعته كذلك الأول كل شرّة منه كالقصر، قاله ابن جني³. أما توزيع أفراد الجمع على أفراد الجمع الذي يقابل أفراد المميّز المبدل على البدل فقد أشار إليه السيوطي حين قال: " مقابلة الجمع بالجمع تارة تقتضي مقابلة كل فرد من

¹.فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، 279/3.

².نفسه .

³.الزركشي، البرهان في علوم القرآن (3/4) وهذه المسألة التي أوردتها ابن جني تقابل تمام التقابل التمييز المفرد الذي يضرب وينشر ويوزع على كل فرد من أفراد المميز.فكان قوله تعالى: " ترمي بشرراً كالقصر" تقابل خمسة عشر رجلاً في العلاقة التوزيعية للمفردين (القصر ورجلاً) على أفراد الجمع (شرر وخمسة عشر) .

هذا بكل فرد من هذا كقوله : " واستغشوا ثيابهم " [سورة نوح - الآية 07] أي استغشى كل منهم ثوبه، وقوله تعالى: " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ " [سورة النساء - الآية 23] أي على كل من المخاطبين أمه ، وقوله تعالى: " يوصيكم الله في أولادكم " [سورة النساء - الآية 11] وقوله تعالى "والوالدات يرضعن أولادهن" [سورة البقرة - الآية 33] أي كل واحدة ترضع ولدها¹. أما الذين جعلوا وحكموا على نحو "رجالا" في قولنا " رأيت خمسة عشر رجالا " أنها تميز فيصدق عليهم قول السيوطي² وتارة يقتضي ثبوت الجمع لكل فرد من أفراد المحكوم عليه نحو: " فاجلدوهم ثمانين جلدة " [سورة النور- الآية 04] . فكل من رمى محصنة يجلد لوحده ثمانين جلدة ، ولو حدث أن رمى المحصنات جماعة عدتهم عشرة لجلدوا ثمان مئة جلدة لكل واحد ثمانين.

4- الموضع في المستوى التركيبي .

معلوم أنّ الباب والأصل في المباني والألفاظ " أن تكون لها مواضع خاصة في تركيب الكلام فإذا وضعت في غير موضعها فإنما أن يقبح ذلك في غير الشعر، وإمّا أن يكون لحنًا لم تتكلم به العرب"³

ففي المفرد وأبنية الجمع إذا كان الموضع موضع إفراد كأن يكون موضع صفة لموصوف مفرد، ومعلوم أنّ الصفة من غير أن نغتر ببنائها فدلالتها تبع للموصوف ، ومن ثمة قيل في أمشاج وأخلاق وأسماح وغير ذلك مما وافق بناءها أنّها رغم بنائها بزنة "أفعال" زنة الجمع إلا أنّ دلالتها للإفراد؛ لأنّها حُمِلت على ما يقع أصلا في موضع صفة لموصوف مفرد، ومثلها أن تقع في موضع خبر لمبتدأ مفرد.

أضف إليها وزن "فِعَال" في دِلَاص وشمال وهجان ووزن "فُعْل" في فلك للمفرد والجمع والمصدر الذي يأتي بزنة المفرد ، فكل هذه الأبنية معرفة دلالتها متوقفة على معرفة موضعها

¹ . السيوطي معترك الإقران في إعجاز القرآن 484/3 .

² . نفسه .

³ . عبد الرحمن الحاج صالح ، (2007 م) ،، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 10/2 .

فإن كان يقتضي الأفراد دلّت عليه و إن كان يقتضي جمع القلّة حملت على ما يدلّ أصلا على القلّة فدلت عليها، وإن كان الموضع يقتضي الدلالة على الكثرة دلّت عليها. فالموضع إذا تعرف به دلالات المباني الصرفية للأفراد أم للقلّة أم للكثرة أم للجنس فكل بناء يستطيع أن يدخل في موضع بناء يدلّ على الكثرة (مثلا) فمعنى هذا أنّه يدخل تحت باب هذا البناء بالقرائن التي جعلته يندرج تحته، فيكون مجراه وحكمه (أي دلّالته) مثل مجراه وحكمه ودلالته، وذلك لأنه يُحمل عليه ولم يحمل عليه إلاّ لأنّه ماثلة بوقوعه في موضعه. ومعلوم عقلا أنّ الشيء إذا سدّ مسدّاً آخر فليس إلاّ لاشتراكهما في صفة تسمح بتعاقبها في ذلك الموضع وليس كل المواضع، وقد يكون للعنصر الواحد أكثر من موضع، فيتحوّل حكمه ومجراه بحسب الموضع فيجري مجرى الباب الذي ينتمي إلى ذلك الموضع).¹

ومثال ذلك أدوات الاستفهام مثل (من وما وكم، وأين، وكيف) اللّاتي تشغل عدة مواضع من استفهام وجزاء وخبر وتكون في جميعها حقيقة لا مجازا، وتكشف وتعرف دلّالتها على أحد هذه الأساليب بالقرائن المحيطة بها والحمل على موضعها ولم يقل أحد إنّها مجاز في الجزاء أو الخبر وحقيقة في الاستفهام.

فالقدمات كانوا إذا نظروا إلى الوحدات اللغوية والأبنية الصرفية في سياقات الكلام عبّروا عن دلّالتها بالنظر في مواضعها التي شغلتها، فيقولون إنّها دلّت على كذا أو كذا وكذا إشارة منهم إلى دلّالتها حقيقة، ولم يردّ منهم كلمة مجاز بمعنى استعمال اللفظة في غير ما وضعت له.

ففي مثل هذا يقول سيبويه: "وسألته (يعني الخليل) عن قولهم: "موت مائت" و"شغل شاغل" "وشعر شاعر" فقال: "إنما يريدون المبالغة والإجادة وهو بمنزلة قولهم: "هم ناصب" و"عيشة راضية" في كل هذا".²

الخاتمة:

في الختام نحاول جمع شتات ما أنتجه هذا البحث فنقول:

¹. السيوطي، معترك الإقران في إعجاز القرآن، (484/3).

². سيبويه، الكتاب، (425/3).

- لعلَّ سيبويه هو أول من قال بأنَّ صيغ : [أفْعُلْ وأفعِلْ وأفعِلْ وفِعْلة] ، وجمع السلامة بنوعيه هي للدلالة على القلّة كما مرَّ معنا ، وقال إنّها تخرج للدلالة على الكثرة مستعاضا بها عن أبنية الكثرة وقد مثلنا لها سابقا في بابها ، وقال إن أبنية الكثرة قد تدلّ على القلة ولم يشر إلى المجاز في دلالة هذه أو تلك في خروجها عن أصلها ، وهذا الذي فهمه من نفى وجود المجاز و تنبه إلى تدخل الموضوع بقرائنه و ملابساته وتأثيره على أيّ عنصر يقع فيه ، فيحمل على الدلالة التي تنبغي لما يقع في هذا الموضوع أصالة.

- بما أنّ الألف واللام منها ما هو للجنس ومنها ما هو للعدد، ومعلوم أنّه لا عهد في أفراد الجموع ، فالجموع بكل أبنيتها إن كانت معرفة بلام الجنس وكذلك الجمع السالم فلا مجال لتحديد دلالتها بالقلّة أو الكثرة، وهذه حالها في كلام العرب والقرآن؛ (فالمسلمون والمسلمات والمؤمنون والمؤمنات) وقس عليها كل جمع سالم معرف إن لم تكن هناك قرينة تصرفه إلى عدد قليل ما دون العشرة فهو للدلالة على أفراده أيّا ما بلغت عدتهم وكذا "الأفْعُل" و"الأفْعَال" و"الأفْعلة" و"الفِعْلة".

- من الخطأ أن نخلص إلى دلالة الألفاظ العرفية أو دلالة المباني الصرفية بمعزل عن سياقها الخاص أو العام، ففي سياقها الخاص لا بدّ من النظر في علاقتها التبادلية مع ما يسبقها وما يعود عليها مكوّنا معها الجملة، وفي السياق العام ننظر إلى النص كلّ الذي جاءت فيه هذه الكلمة مع ما تعلّق بها إن وجد هذا النص الكلي؛ لأنّ الكلمة أو البناء في نص ما يكون له دلالة تختلف عن دلالاته في نص آخر.

- تقول العرب لما بين الثلاثة إلى العشرة: "لثلاث ليال خلون" و"ثلاثة أيام خلون" إلى العشرة فإذا جاوزا العشرة قالوا: خلت ومضت ، ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة(هنّ وهؤلاء) فإذا جاوزا العشرة قالوا:(هي وهذه) إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير، وقال الكسائي: كنت أعجب من العرب تقول (لعشر مضين ولإحدى عشرة مضت)¹ وذكر الفراء تفسيراً لهذه

¹ .فاضل صالح السامرائي - معاني النحو - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - عمان الأردن - ط 1-

(65/1). وينظر الحريري القاسم بن علي- درة الغواص في أوهام الخواص - (1998م) - تح : محمد أبو الفضل إبراهيم- دار الفكر العربي ص75-76.

الظاهرة فقال: إنّ المميز مع جمع الكثرة وهو ما زاد على العشرة لما كان واحداً وحده الضمير ومع القلة وهو العشرة وما دونها لما كان جمعا جمع الضمير"¹

وقد يُتجاوز عن هذا الأصل إلى غير هذا الضرب من البلاغة كتنازل القلة منزلة الكثرة وبالعكس ممّا يليق به المقام وذلك نحو قوله تعالى: "يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصّيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقون أيّاما معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعِدّة من أيّام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون" [سورة البقرة الآية: 184] ، فقال: "أيّاما معدودات" لتقليلها مع أنّها أكثر من عشرة ، أي هي قليلة يسيرة بالنسبة إلى قدرتكم واستطاعتكم، ولذلك قال بعدها: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" وهو من باب التلطّف بعباده المؤمنين .

¹ . السيوطي جلال الدين-معترك الأقران في إعجاز القرآن- ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين- دار الكتب العلمية-بيروت لبنان ط1988(581/3) وينظر: كذلك الزركشي بدر الدين محمد بن علي - (1988) . البرهان في علوم القرآن- تح : محمد أبو الفضل إبراهيم دار الجيل بيروت لبنان (23/4).

المراجع :

- 1- ابن الأثير. (1411هـ - 1999). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: عبد الحميد معي الدين، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، لبنان.
- 2- ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. (1375 هـ). إصلاح المنطق. شرح و تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون دار المعارف. مصر ط2 .
- 3- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا. (1997 م). الصحابي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها. تعليق أحمد حسن بسج. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط1 .
- 4- ابن الشجري هبة الله ضياء الدين أبو السعادات. أمالي بن الشجري. تح: محمود محمد الطناحي. مكتبة الخانجي. القاهرة.
- 5- ابن يعيش موفق الدين ابن علي النحوي. الشرح المفصل. مكتبة المتنبي. القاهرة. مصر و عالم الكتب. بيروت. لبنان.
- 6- أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي. (1987). إيضاح شواهد الإيضاح- تحقيق محمد بن محمود الدعجاني. دار الغرب الإسلامي- بيروت، لبنان. ط1 .
- 7- الأمدي سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد. (من دون سنة). الإحكام في أصول الأحكام. ضبط الشيخ إبراهيم العجوز- منشورات علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- 8- البخاري علاء الدين عبد العزيز بن أحمد. (1418 هـ - 1997 م). كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي. وضّح حواشيه: عبد الله محمود محمد عمار. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط1 .
- 9- عبد اللطيف محمد حماسة. (2000 م). النحو و الدلالة. دار الشروق. القاهرة. مصر ط1
- 10- الحريري القاسم بن علي. (1998 م). درة الغواص في أوهام الخواص- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار الفكر العربي.
- 11- سيبويه. (1999) الكتاب- طبعة: دار الكتب العلمية- تعليق إميل يعقوب. ط1.
- 12- السيوطي جلال الدين أبو الفضل. (1988). معترك الأقران في إعجاز القرآن. ضبط أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط1

- 13 - السامرائي فاضل صالح (د، ت) . معاني النحو . دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع . عمان . الأردن
- 14 - الزركشي بدر الدين محمد بن علي - (1988) - البرهان في علوم القرآن- تح : محمد أبو الفضل إبراهيم دار الجيل . بيروت لبنان .
- 15 - عبد الرحمن الحاج صالح . (2007 م) - بحوث و دراسات في اللسانيات العربية . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية . الجزائر .
- 16 - فاضل صالح السامرائي - معاني النحو . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - عمان الأردن - ط 1 .